جزيرة نياس وسكانها

الانسان يرتاح بالطبع الى الوقوف على احوال ابناء نوعه . وكلما شطَّ عنه مزارهم وغرُبت لديه اخبارهم زاد ارتياحًا الى معرفة احوالهم . ولذلك ضرب السيَّاح في الاقطار وتجشموا مشاق الاسفار وكانت الغاية مقصورةً في جمع غرائب الاخبار وتسهيل السُّبُل للارتحال والاتجار . ثم تولَّدت من وراء ذلك غاية عليَّة جليلة وهي درس طبائع الناس الوقوف على احوالهم العقلية والادبية ولاكتشاف الاسباب التي رقَّت نوع الانسان في مراقي الكمال . ولذلك ترى الكتَّاب والفلاسفة يحتفلون باخبار اهالي جزيرة صغيرة من جزائر البحر المحيط كما يحتفلون بتاريخ امَّة كبيرة . وهذا ما حدانا الى اثبات المقالة التالية في سكان جزيرة نياس وان كانوا من اقل الشعوب عددًا

جزيرة نياس اكبر الجزائر الصغيرة المنتشرة امام الشاطئ الغربي من جزيرة سومطرة . طولها نحو ٧٥ ميلاً وعرضها نحو عشرين ميلاً وارضها جبليَّة صخرية كثيرة النبات ليس فيها من الحيوانات الاهلية سوى الخنزير والكلب والهر والدجاج وقليل من الماعز . وليس فيها من الحيوانات المتوحشة سوى التمساح وفيها الخنزير البري ايضًا وهو كثير الضرر بالحقول والمزارع . واهاليها يبلغون ثلثمئة الف نفس وهم يشبهون المغول في شكلهم والرجال منهم يشملون الصَّاه بشملة تغطي احتلامهم . والنساء يأتزرن بمئزر ضيق وقد يرتدين فوقه برداء واسع يلتفُّ على اكتافهنَّ . ويقتصُّ شعورهنَّ بدبابيس الفضة والذهب ويتكللنَ باكاليل الذهب واللؤلؤ المنظوم . وهنا محل الغرابة فان المرأة التي ليس لها من الثياب ما يكسو بدنها وليس في بيتها الاَّ ما لا يذكر من المتاع تزين رأسها بالذهب واللؤلؤ كأنَّ الزينة مقدَّمة على كل الحاجيات

وسلاح الرجال الرمح والسيف والترس وعندهم دروع من جلد الجاموس وخوذ مصنوعة من الياف الجوز الهندي . وامتعة بيوتهم تحصر في فرش من القش وعقدات من الخشب وصحاف من اوراق الاشجار وميزان لوزن اللحم وآخر لوزن الذهب وجرن لدق الارز وقدور وقصاع . وادواتهم السكين والفأس والازميل والمبرد وهو لبرد اسنانهم . ويبنون بيوتهم على اوتاد يضربونها في الارض فتكون بيوتهم مرتفعة عن الارض نحو ثلاث اذرع لكي يأمنوا شرَّ المتسحين والمبيتين . فيصعدون الى بيوتهم على السلالم ويزربون الخنازير تحتها لان اكثر ماشيتهم ان لم نقل كلها من الخنازير

ولم تكن الكتابة معروفة عند اهالي هذه الجزيرة بل كانوا يحفظون اقوال اسلافهم من نثر ونظم حفظًا شأن عرب الجاهلية في ما بَعُدَ عن الامصار . ولبثوا على ذلك الى ان اتاهم احد

المرسلين الاوربيين وتعلّم لغتهم وكتبها لهم بحروف رومانية . وقد جرى كثيرون من المرسلين على هذه الخطة فكتبوا لغات كثيرين من الشعوب الذين لم تكن الكتابة معروفة عندهم ونعم ما فعلوا . وتطرّف بعضهم فادخل الكتابة بالحروف الرومانية حيث كانت اللغة مكتوبة بحروف عربية كما في جزيرة مدكسكر . وقد نحا العرب هذا النحو في مالك عبيدهم فادخلوا الكتابة بالحروف العربيّة في كثير من البلدان التي فتحوها ولو لم يستطيعوا تغليب لغتهم على لغة اهاليها فجوزيت كتابتهم الآن بما جازوا به كتابة غيرهم . وهذا الوقت الذي يعتمد فيه الناس على كتابة واحدة اي على اتخاذ صورة واحدة للحروف في جميع اللغات كما اعتمد اكثر اهالي اوربا على صور الحروف الرومانية وكما اعتمد العرب والترك والفرس على صور الحروف العربية

واهالي جزيرة نياس قليلا الصدق كثيرا الاسراف لا يهتمون بالغد ولا يدخرون للمستقبل ولا يغتبطون للعمل واكثر اعمالهم يعملها النساء فيعتنين بالارض والماشية . ولكنهم في المذاجة كالاطفال والضيافة مرعيّة عندهم والذبيحة بالك بيت مضيفهِ ما دام نازلاً فيهِ

والجزيرة كلها خاضعة لملكة هولندا ولكنها مقسومة الى اقسام كثيرة ولكل قسم رئيس يسود عليهِ ويظن نفسهُ سلطانًا مستقلاً والشعب يعظمونهُ ويلقبونهُ "بأساس المسكونة" "والمتعالي فوق عرف الديك" "والذي هو النار بعينها" الى غير ذلك من القاب التعظيم والتبجيل

وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

والضرارُ شائع عندهم والمرأة خادمة للرجل وهو يدفع صداقها ويبتاعها بالمال . واذا غضب رجل على زوجتهِ استعبدها وتزوّج بأخرى . واذا مات رجل انتقلت زوجاتهُ بالارث الى ابيهِ واخوتهِ فلا يحسبوا لهنّ . واذا مات الاب اخذ ابنهُ زوجتهُ ما لم تكن امهُ . ومع ذلك فالرباط العائلية وثيقة جدًّا عندهم والنساء حصينات عفيفات . واذا اعتدى رجل على امرأة عوقب عقابًا صارمًا . واذا ولدت امرأة ولدًا بالزنى وضعوهُ في سلة ووضعوا معهُ بيضة وعودًا من قصب السكّر وعلقوا السلة في شجرة الى ان يموت جوعًا وما ذنبهُ الاّ ما جناهُ ابواهُ عليهِ وما هي اول مرةٍ أُخذ فيها البار بجريرة الاثيم . ومن الناس من يقول حبذا هذا العمل البربري مع ما فيهِ من الجور والقساوة اذا آل الى محو رذيلة الزنى وتثبيت دعائم الطهارة والعفاف . بل ان مَن يتدبّر اعمال الطبيعة يجد انها تجري على هذه السنّة فتُزرع الحبوب بالالوف ولا يبلغ عن سنابلها الاّ العشرات . وبولَد الملك بالملايين ولا يبلغ منهُ الاّ الآحاد . والانسان مع حرصهِ الشديد على نسلهِ ومقاومتهِ لافعال الطبيعة بالاعتناء والدواء يولد لهُ عشرة اولاد فلا يكمل منهم ثلاثة كأنّ الاسراف شريعة طبيعية غايتها بقاء الانسب

واذا قتل رجل رجلاً آخر اخذ اهل القتيل بثأره من القاتل او يدفع لهم دية . ويعاقبون السارق بالقتل او يغرمونه مالاً . واذا هرب السارق ولم يجدوه اكتفوا باللعنات والشتائم يبعثونها وراءه او حرقوا كلباً ودعوا على السارق ان يحرق مثله . واذا تخاصم رجلان واصطحبا بينهما لعنوا المعتدي او مَنْ يضمر السوء للآخر وانى اصحاب كلٍّ من المتخاصمين بجريدة من سعف النخل الى امام قبائل اجدادهم وكسروها امامها وطلبوا منها ان تكسر رقبة خصمه اذا اضمر له السوء كما كُسِرَت الجريدة

واذا وُلد لرجل ولد امتنع هو وزوجته عن جميع الاعمال التي يوجسون منها شرًّا مثل ذبح الحيوانات واكل لحم الميتة والمرور حيث قُتِل انسان او ذُبح حيوان والنفخ بالمنفخ لاعتقادهم انهم اذا فعلوا شيئاً من ذلك تطرأ الاخلاق الذميمة الى الولد . ويفضلون البنين على البنات ويسمونهم باسماء تدلُّ على حوادث مهمَّة حدثت لاسلافهم ويسمون البنات باسماء دنيئة مثل "النفاية" "والكريهة" . والغالب انهم لا ينادون الولد باسمه بل بلقبه لئلاَّ تعرف الارواح الشريرة اسمه وتضرَّ به . ويختنون ابناءهم ويحتفلون بختانهم ويقدمون القرابين لارواح اسلافهم حينئذٍ ليخبروهم بما هم فاعلون

ويخطبون البنات صغيرات جدًّا وقد يخطبونهنَّ قبلما يولدن ويدفع الزوج ثمن زوجته لاقاربها ورئيس قبيلتها فيقتسمونه بينهم . وحينما يعتمد الشاب على خطبة فتاة يجعل يراقب احلامه فاذا حلم بالنار والسيول تشاءم من الخطبة وعدل عنها واذا حلم بالماء الصافي والدراهم تفاءل خيرًا واقدم على الخطبة بعزيمة صادقة . والخطيبة تحتجب عن خطيبها فلا يراها . وقبل الزواج بايام تطوف الخطيبة على اهالي قبيلتها تودعهم بالبكاء والنحيب وتأخذ ما يقدمونه لها من الهدايا . ثم يأتي الخطيب مع قومه الى دارها فيغنون ويرقصون ويأكلون ويشربون وينزلونها من بيتها وهي مطرقة الى الارض خجلاً وحشمةً ويوقفون العريس اي الخطيب بجانبها ويلمسون رأسيهما بقاعدة الصنم القائم امام البيت فيصيران زوجًا وزوجةً ثم يسيرون بهما الى قبيلة العريس فيرفع رئيس القبيلة سيفه فوق رأسيهما ويولم العريس وليمة فاخرة لاهله واهل عروسه وحينئذٍ تقرَّر منزلة العروس عنده كما كانت تقرَّر في ايام الرومان

واذا مرض احدٌ منهم واشرف على الموت انوهُ بالنابوت قبلما يقضي نحبه ووضع ابنة فتاة على فمه لكي يأخذ روحهُ حالما تخرج من بدنه واذا لم يكن له ولد وضعوا كيس الدراهم على فمه ليتوعى روحهُ فيه ويُعلق هذا الكيس بجانب تمثاله . ويندبون الميت ويدفنون له الطبول ويطلقون البارود ويعتقدون بقولهم انهُ لم يمت بل غاب غيابًا لا معاد منه . ويولمون له وليمة كبيرة يذبحون

فيها كثيرًا من الخنازير و يضعون في التابوت اناء فيه دجاجة وارزٌ ثم يواروته التراب و يشكّون التراب فوقه بعود لتصعد منه بقية قلب الميت في صورة رتيلاء وهي لا تصعد كذلك الاّ اذا كان له عقب . والغالب انهم يدفنون الميت حالما يسلم الروح ولكن اذا لم يكن عندهم من الخنازير ما يكفي لإيلام الوليمة فقد يبقونه بلا دفن سنة كاملة الى ان يصير عندهم ما يكفي منها . و يدفنون مع الميت كل التماثيل التي صنعها وقت مرضه والآنية التي كان يستعملها فلاّ تعود روحه الى بيته تطلبها منهم . ثم يصنعون له تمثالاً من الخشب و يطلب الكاهن من نفسه الخالدة ان تسكن هذا التمثال

ومن اغرب شعائر دياناتهم اخراج الرتيلاء من القبر وهم يحسبونها بقية قلب الميت ويسمونها بالموكوموكو وقد يسرعون في اخراجها وقد يبطئون واذا ابطأوا ثم حدث مرض في العائلة قالوا ان سببه عدم اخراج الرتيلاء . وهذه صورة اخراجها : يكنس ظاهر القبر و يُذَر عليه الارزّ وتبسط عليه الثياب وتلقى عليها الحلى والجواهر ويجلس الاهالي حول القبر القرفصاء و يبسطون ايديهم ينادون الرتيلاء و يدعونها للخروج ولا تبطئ ثم يرفع احدهم طرف الثياب التي على القبر فاذا وجد تحتها رتيلاء ضجّ القوم كلهم وجعلوا يركضون ذات اليمين وذات اليسار و يبسط احدهم يده لها لتدب عليها فان وجدوا ان لها ست ارجل قالوا انها ليست رتيلاء الموكوموكو لان هذه لها اربع ارجل فقط وحينئذٍ إمّا ان يجدوا غيرها ما يفي بغرضهم او يحكموا ان رجلين من رجليها شعرتان وان لها اربع ارجل فقط . ثم يضعونها في قصبة سواء كان لها اربع ارجل حقيقةً او حكمًا و يأتون بها الى امام تمثال الميت و يطلقونها هناك فتمضي على زعمهم وتسكن التمثال . و بما ان التماثيل من الخشب فقد يتشقق بعضها فاذا تشقق واحد منها قالوا ان الرتيلاء خرجت منه فيصنعون غيره و يأتونه برتيلاء أخرى لتسكن فيه . ولا عجب اذا حُمل الناس على التصديق بهذه الخرافات وامثالها ما دام بينهم اقوام تتوقف معيشتهم على ترويج مثل هذه البضاعة

و يعتقدون ان في الانسان روحًا ونفسًا اما الروح فتنسم له حال ولادته و يعطى منها كثيرًا او قليلاً حسب طلبه فاذا أُعطي كثيرًا عاش طويلاً والاّ مات باكرًا . واما النفس فخالدة و يعتقدون انها تغدر الى مدينة الاموات وتموت فيها تسع مرات او تموت مرارًا بقدر السنين التي عاشها صاحبها على الارض وتاخذ معها الى مدينة الاموات اخيلة الاشعة التي كان الانسان يستعملها وهو حي واخيلة كلما كان له من الغنى والثروة . ونفوس الاشرار تعود الى اجسادها فتحفها الارض حفًا . واذا لم يكن للانسان عقب ذكرٌ استحال بعد موته الى فراشة من فراش الليل . واذا مات قتيلاً استحال الى جرادة . ونفوس القتلى الذين يقتلهم غيرهم او ينفرون انفارًا تسكن وحدها منفصلة

عن بقية النفوس . وفي الآخر تموت الارض نفسها او يبتلعها البحر وتوجد ارض جديدة وحينئذٍ تعبر نفوس الناس الى الارض الجديدة تعبّرها اليها نفوس المرر وكلُّ مَنْ قتل مرّة او اذاها تطرحهُ نفوس المرر الى الهاوية ولذلك لا يأذون المرر ولا يدنون منها . وطريق النفوس الى الارض الجديدة ضيق جدًّا كحد السيف ولا يعبر عليهِ الاَّ نفوس الذين كان لهم عتب . وتفوس الاطفال تحملها امهاتهم وتعود بها الى الله الذي صدرت منهُ

وعندهم الهٌ اسمهُ لاتوري يعتقدون انهُ يبتلع الناس روحيًّا اي يبتلع اخيلتهم فاذا ابتلع انسانًا ويعرف ذلك من ابتلاء الانسان بالمرض ترضّوهُ بالذبائح لكي يعدل عن هذا الانسان ويبتلع انسانًا آخر اسمن منهُ من بلاد اخرى فان اجاب طلبهم شفي المريض والاَّ مات . وعندهم الهة اخرى تبتلع اخيلة الناس فتميتهم وهذه الاخيلة غير الاخيلة العاديَّة التي تحدث في نور الشمس . ويعتقدون بوجود مخلوقات روحيَّة تسكن كهوف الارض وشقوقها وتوذي البشر وتأكل اخيلتهم . ومصدر كل هذه العقائد والاهام الكهنة وهم طائفة مخصوصة من الشعب والذي يدخل مصافهم تصيبهُ اولاً نوبة مثل نوب الجنون ثم يعزّم الكهنة عليهِ ويعلمونهُ رسومهم فيصير منهم . ولكثرة ما عندهم من الاصنام تلتبس عليهم اسماؤها فيمسك الكاهن واحدًا منها ويذكر اسماء كثيرة وهو يحاول ايقاف بيضة على قنينة فالاسم الذي تقف البيضة حين ذكرهِ هو اسم ذلك الصنم . وعندهم اوهام كثيرة مثل هذه ويستبين منها كلها ان لكهنتهم سلطة نافذة فيهم فيحتالون عليهم ضروب الحيل تذرعًا الى التعيُّش

نشوء جامعة الزواج والعائلة

خلاصة كتاب للعلامة الطبيعي شرل لاتورنو مدرّس في مدرسة الانثروبولوجيا اي علم الانسان بباريز

ان العلماء والفلاسفة يميلون اليوم الى البحث في الاشياء عمومًا بحثًا طبيعيًّا فلا يعتمدون في تقريرها الاَّ على المراقبة والاختبار ولا ينظرون اليها الاَّ بالنظر الى ما بينها من العلائق النسبية والسببية وهذا ما يمتاز بهِ هذا العصر على ما تقدمهُ من العصور الخالية التي كان فيها للتصوُّر والانقياد للمخيِّلة المجال الاعظم . وما ذلك الاَّ لبلوغ العلوم الطبيعية في هذا العصر مبلغًا لم يسبق اليهِ وتعوُّد العقل بها ان لا يرتضي الاَّ ما يقوم عليهِ الدليل الحسّي او ما جرى مجراهُ كالاستقراء المبني على هذا الدليل . ومعلوم ان العلوم الطبيعية من اصدق العلوم التي تهذّب العقل وتصلح الذوق . والتعلق عليها يوجب اعتبار كل شيء من اشياء هذا الكون مهما كان في